لقد كانت الفرصة مؤاتية لرابليه فعاد في هذا الكتاب يشن هجماته النقدية الساخرة على « العداء للطبيعة » الذي ينجب في نظر رابليه ، « اطفالا يسيرون وأرجلهم إلى أعلى ورهبانا وواعظين وغير ذلك من العجائب البشعة المناقضة للطبيعة » .

نفذ رابليه طعناته الساخرة المميتة ببراعة فنية عظيمة . ولكن عمله وموهبته لم يعودا عليه بالفائدة . فكتابه الرابع ظهر في شباط من عام ١٥٥٢ وفي نيسان من العام نفسه تصالح الملك مع البابا . ولعل رابليه كان على علم بذلك ، لذا قرر الاختفاء قبل ظهور الكتاب . ان هذا الافتراض ، لو صح ، يلقي ضوءا على اختفاء رابليه الغامض منذ شباط عام ١٥٥٢ وحتى وفاته في النصف الثاني من عام ١٥٥٣

الكتاب الخامس :

بعد وفاة رابليه ، وبالتحديد في عام ١٥٦٤ ، ظهر الكتاب الخامس من رواية « غاراغنتوا وبانتاغروئيل » ، ولكن رابليه لم يؤلف منه على مايبدو ، سوى بعض الفصول والمقاطع المتفرقة .

وقد تضمن هذا الكتاب هجوما أشد حتى مما في الكتاب الرابع على الكنيسة ، ولكنه كان من الناحية الفنية ذابلا ثقيل الأسلوب .

خاتمة البحث :

كان رابليه ممثلا حقيقيا لفن عصر النهضة . انه حاول منذ خطواته الأولى صياغة وجهة نظر شاملة خاضة به ، فلم يسر وراء السربون الكاثوليكية أووراء جينيف البروتستانية . بل سار في دروب حرية الفكر التي دفعته الى رفض الكاثوليكية والبروتستانية معا . وكان موقفه هذا ينسجم انسجاما رائعا مع كونه عالما وأديبا وباحثة في الطب وعلوم الطبيعة . قديبدو في بعض الأحيان ان رابليه تخلى عن موقفه . ولكن ذلك التخلي كان ظاهريا فقط . فرابليه كان يلطف صيغه ويخفف من حدتها عندما يتلبد الجو بالغيوم وترتفع ألسنة اللهيب . ثم يعود ، عندما يجد الفرصة مؤاتية ، الى الحدة المعهودة التي تتفق وقناعاته الحقيقية ، ذلك لم يكن خافيا على أحد ، فالسوربون والكالفينيون انهالوا عليه باللعنات وحاربوه حربا لاهوادة فيها . ومع ذلك فرابليه كان يتمتع بحماية الملك وحماية ثلاثة من أكبر الأساقفة في فرنسا آنذاك . وقد جعله هذا الوضع يقبل المساومة في بعض الأحيان اذ لم تكن عنده رغبة في مشاركة صديقه ايتيين دوليه مصيره التعيس . لقد دافع رابليه عن افكاره باخلاص ولكنه لم يصل في دفاعه عنها إلى حد القبول بالموت حرقا من أجلها .